النشاط الثقافي في العالم

الاتحاد السوفياتي

يوميات بيروت

اناتولي سوفرونوف ، الكاتب السوفياتي الذائع الصيت ، ومدير مجلة « اوغنيوك » الاسبوعية السوفياتية يروي لنا انطباعاته عن الزيارة التي قام بها مؤخرا الى لبنان حيث اشترك في ندوة المجلات الادبية والثقافية الافريقية ـ الاسيوية .

ها هي بيروت ، من جديد . منذ ثلاث سنوات لم ازر العاصمة اللبنانية ، وها نحن الان ، مع اكاتب الاوزبكي لذيذ قيوموف ، ومحرري المجلات الادبية ـ الثقافية في الهند ، وافغانستان ، وسري لانكا ، واليابان ، والفيليبين ، نقترب من مطار بيروت الدولي الذي نعرض مرارا خلال الاعوام الاخيرة لهجمات الطيران الحربي الاسرائيلي الوحشية .

تحت جناحي طائرتنا نرى امواج البحر الابيض المتوسط الرمادية ـ الرصاصية اللون ، وصخور الساحل البنية .

هنا ، في بيروت ، ستعقد لاول مرة في التاريخ ، ندوة المجلات الادبية والثقافية الافريقية ـ الاسيوية .

ترى ، كيف ستجري اعمال هذه الندوة ؟ وهل سنصل الى وجهات نظر مشتركة ؟ ام ان الخلافات الصغيرة ستحول دون بلوغنا هذا الهدف المهم ؟ نعلم فقط بأن هذه الندوة ، التي دعا لعقدها اتحاد الكتاب اللبنانيين صديقنا ، قد ادرجت في خطة عمل الاتحاد العام لكتاب بلدان آسيا وافريقيا ، وذلك في كانون الثاني من العام الماضي ١٩٧٤ ، في القاهرة ، ثم وضع برنامجها التفصيلي وذلك في جلسة المكتب الدائم للاتحاد العام في موسكو في حزيران من العام الماضي ايضا . اما سائر الامور فتعود الى نشاط الكتاب اللبنانيين ، الذين قدموا ، في الاعوام الاخيرة ، اسهاما ثمينا في عمل الاتحاد العام ، الفعال . وعبر النوافذ الواسعة لدائرة الجمرك، راينا انور عليمجانوف ، امين اتحاد الكتاب في كازاخستان ، وقد جاء من دمشق ، بطريق الجو ، وسيرج باروزدين ، مدير مجلة « دروجبا نارودف » («صداقة الشعوب») ، الذي وصل بالطائرة الى بيروت قادما من القاهرة . ها هم جميع اعضاء وفدنا قد وصلوا الى بيروت عبر « طريق النجوم » . ركبنا السيارة ، وتوجهنا مع سهيل ادريس، رئيس اتحاد الكتاب اللبنانيين ، الى فندق « بوريفاج » .

وسأل سهيل ادريس وهو يجلس وراء مقود السيارة :

ـ اين صارت مجموعتي القصصية التي ستصدر ضمن سلسلة منشورات « اوغنيوك » ؟

ـ انها قيد الطبع(*) .. لقد انهى ارماكوف ترجمة قصصك الى اللغة الروسية .

(*) وقد صدرت بالفعل في الشهر الماضي عن دار البرافدا ، وهي مختارات من قصص سهيل ادريس اكثرها من مجموعته الاخيرة « العراء » . وكان عدد المطبوع منها مئة الف نسخة .

وهز ادريس رأسه تلك الهزة الخاصة به والتي تعني ان الجواب قد ارضاه .

وسألته : هل وصل كثير من المندوبين للاشتراك في الندوة ؟

ـ وصلت وفود من عشرين بلدا .. واعتقد ان الوفود ستكون اكثر من ذلك ، بعض الشيء . واضاف ادريس وهو يدخل الطريق المبدة الواسعة المحاذية لشاطيء البحر : سوف يتمثل في الندوة زهاء ثلاثين مجلة . وقال : نحن ، هنا ، جميعا ، ما زلنا تحت التاثير القوي الذي احدثته زيارة ياسر عرفات لموسكو . ان الاستقبال الذي خص به في موسكو استثار اصداء حارة في البلدان العربية .

لا شك في ان الامر يكون مريحا جدا حين تجري لقاءات العمل ، في الفندق ذاته ، حيث ينزل الزائر.اذ يمكن والحالة هذه التلاقي، اكثر ، لتبادل الاراء . وهذا ما حصل هذه المرة ايضا . وعند المساء، جاء الى الفندق رئيس الوزراء رشيد الصلح ، وكمال جنبلاط ، رئيس الحزب التقدمي الاشتراكي ، وشخصيات لبنانية اخرى . واعطى سهيل ادريس الكلمة لرئيس الوزراء .

قال رشيد الصلح : ان حكومة بلدنا تعلق اهمية كبيرة على هذا اللقاء ، لقد قام الادب دائما بالتقريب بين الشعوب . وثقافة شعب معين ، لا تتوجه الى هذا الشعب وحده ، بل الى الشعوب الاخرى، ايضا . وهكذا تغتني البشرية جمعاء . فالادب والثقافة يحملان اليها السلم . انني اتمنى لكم النجاح والوفاق في عملكم .

وقد استمعنا بسرور الى كلمة سهيل ادريس ، وكلمة رئيس اتحادنا العام يوسف السباعي ، وكلاهما دعا ايضا الى الوفاق في اعمال الندوة .

والحقيقة ان هذه كانت مهمة اتحادنا العام ، هذه المهمة التي طرحت امامنا وسائر المشتركين ، هنا في بيروت ، في المؤتمر الدولي الثالث للاتحاد العام ، الذي اجتمع في ربيع ١٩٦٧ . ان طريق الوحدة طريق وعر . لكن المهمات الرئيسية للاتحاد العام وهي النضال بقوى الادب ووسائله ضد الامبريالية والاستعمار ، والعنصرية، والصهيونية ، قد عملت طوال كل هذه الاعوام على رص صفوف الكتاب ومساعدتهم على الاتحاد ، نابذين الخلافات حول المسائل الصغيرة ، في سبيل الاهداف الكبرى والنبيلة . وعلى كل حال ، فاين ، ومتى امكن ان يستغني الادب ، والكتاب ، وجميع المضطلعين باعمال الابداع ، عن مناقشات ومجادلات مفعمة حرارة وحمية ؟ فالادب والفن لا علاقة لهما بالاشخاص اللامبالين .

لغة الوحدة والوفاق

كلما اجتمع كتاب آسيا وافريقيا،كما هي الحال الان ،تعاودنا ذكرى جميع لقاءاتنا الماضية . المؤتمر الاول لكتاب اسيا ، في دلهي ، عام ١٩٥٦ . كان كتاب اسيا يجتمعون وحدهم ، حتى ذلك الحين . وكانت افريقيا آنئذ قارة شبه مقفلة . وما زلت اذكر انه كان في دلهي حينئذ كاتب لبناني يحضر الاجتماعات كمراقب .. واثر ذلك ، بعد العدوان الثلاثي ، كان لقاؤنا في القاهرة مع رئيس مصر جمال عبد الناصر . وقد لبى عبد الناصر طلب بعثتنا السودية ، بقيادة الفقيد انسوب سينغ ، عضو البرلمان الهندي يومئذ ، حيث اتاح لنا الرئيس عبد

الناصر عقد المؤتمر الاول للتضامن في القاهرة . وقد قال لنا جمال عبد الناصر يومئذ ، بعد حديث استغرق ثلاث ساعات : « القاهره تحت تصرفكم » . وما زلت اذكر بور سعيد التي كانت ما تزال مغمورة بسحب الدخان . والخوذات المثقوبه بالرصاص الموضوعة على قبور الشهداء الذين ماتوا دفاعا عن بور سعيد .. ها نحن في طشقند ، عاصمة اوزبكستان في عام ١٩٥٨ . المؤتمر الاول لكتاب بلدان اسيا وافريقيا . من هنا ينبجس ينبوع وحدة كتاب الفارتين الكبيرتين . ثم القاهرة من جديد . ولقاء اخر في قصر القبة ، مع الرئيس جمال عبد الناصر . وبيروت في ربيع ١٩٦٧ . بيروت لا يمكن ان تنسى . كلا ، لا يمكن ان تنسى . كما انه لا يمكن نسيان المؤتمر الرابع في دلهي في خريف ١٩٧٠ . ان اتحاد كتاب اسيا وافريقيا ينمو ويكبر . والاطار القديم اصبح غير كاف . والكتاب الشبان في اسيا وافريقيا يظهرون ، وترتفع اصواتهم المبدئة النبيلة . كما لا يمكن ان ينسى المرء انديرا غاندي لدى تسليمها جوائز « اللوتس » الاولى لكتاب افريقيين اسيويين ولا خطابها النير ، الهادىء ، الذي قيمت فيه تقييما رفيعا ، كلمة الاديب .

وهناك ايضا خطوة واسعة اخرى تحققت . واعني بها المؤتمر الخامس الذي انعقد في الما ـ اتا . فكتاب جميع بلدان اسيا وافريقيا ، تقريبا ، قد حضروا ذلك المؤتمر . ومعرض اعمال الكتاب الافرو ـ اسيويين التي صدرت في الاتحاد السوفياتي خلال اعوام نشاط الاتحاد العام . وافتتاح المؤتمر الذي دون فيه العبارات الودية الواردة في برقية ليونيد ايليتش بريجنيف ، الامين العام للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي اذ قال :

« ان روح الصداقة والتفاهم والاتصالات الحية والمثمرةقد سادت دائما مؤتمرات كتاب بلدان اسيا وافريقيا . فلتنتصر هذه الروح في مؤتمر الما ـ اتا . ولتسجيل صفحة جديدة في تاريخ حركة كتاب البلدان الافرو اسيوية ، وليكن المؤتمر خطوة هامة في عملية تعزيز الصداقة الاخوية بين ابناء عالم الثقافة المدعوين لصيانة السلم،وحماية منجزات الحضارة وتطويرها ، للاجيال الحالية والقادمة ! » .

ثم يريفان ، والندوة الشعرية . وهي اول لقاء بين شعراء الفارتين ، وتبعا لنوع وابداع كل منهم . في الماضي ، كان هناك من « يتنبأ » لنا بالانقسام . من اليمين ، ومن اليسار المنطرف . من الامبرياليين الى الماويين . ولكن تلك التنبؤات السخيفة ذهبت ادراج الرياح . ان صرحوحدة كتاب اسيا وافريقيا ،الذياقيمحجرا بعد حجر ، ومدماكا فوق مدماك ، قد صمد لجميع الرياح والعواصف . وانه لجهد شاق ، ولكنه نبيل . ان ذكرى مرور عشرين عاما على ميلاد الاتحاد العام يقترب ميعادها . افلم يحن الوقت للادباء لان يكتبوا باقلامهم تاريخ وحدة الادباء ! ؟

اعود الى ندوة بيروت .

فماذا سيقول « ارباب » الكلمة المطبوعة ؟ ها هي منصة طويلة، ترتفع فوقها ، مثل اكاليل الزهر ، رايات البلدان الممثلة في الندوة. فلنصغ الى المندوبين . ماذا يقولون ؟

شمران الياسري (العراق) :

ـ ان الدور الكفاحي لمجلاتنا يتعزز ، الان . فهي ترص صفوف القراء ، وتوحي اليهم افكارا تقدمية . ونظرا لان الصراع الايديولوجي يشتد ، فان مسؤولية المجلات تزداد . ومن واجبنا تعزيز الصلات بين المجلات والقراء . فلا الجرائد ولا المجلات يمكن ان تكون منقطعة عن الشعب . وواجبنا هو النضال ضد الانعزالية والعاملين للانشقاق. ويجب ايلاء الانتباه لما يقوله المثقفون في بلداننا والبقاء على صلات دائمة مع الكتاب . والمجلات التي تقف بمعزل عن مصالح الشعب لا تستحق العيش .

غونا سينا فيتكا (سري لينكا)

ـ على المجلات ان تتخذ نقاط استهداء ثابتة ومحددة في النضال ضد الامبريالية . وينبغي ان تتوجه مجلاتنا نحو المسائل الاجتماعية. ويجب ان يكون لدينا برنامج لرفع المستوى الثقافي للشعب . وعلينا ان نطلع الشعوب اطلاعا جيدا على الادب التقدمي ، وذلك بجميع ما نملك من وسائل . وفي هذا الاتجاه ، علينا الافادة من تجربة الادب السوفياتي الكبرى ولسوف يساعدنا ذلك في مكافحة تاثير ادب الامبريالية الاميركية .

محمد صادق روحي (افغانستان)

ـ الادب والسياسة متلازمان ، لا انفصام بينهما . يشهد على ذلك تاريخ كل ادب من آداب الشعوب . والان ، ونحن نمثل دولا حرة ، ينبغي لنا ان لا نتدخل في الشؤون الداخلية للاخرين . وعلينا ان نناقش جميع القضايا باحترام قوانين بلداننا .

ديباندرات باديوپاد هاذان (الهند)

ـ ارجو ان تتقبلوا مشاعر الحب والاحترام تزجيها اليكم الهند. انني مدير مجلة « باريشاي » التي تصدر في كالكوتا . ومؤسس هذه المجلة هو البردرانات طاغور العظيم . وقد اكتسبت المجلة قوه وعزما شديدين بتأثير من ثورة اوكتوبر . وذلك ما حدث ، كما اعتقد ، كثير من المجلات في انحاء العالم بأسره . ولا بد لي من القول ان قيام الاتحاد السوفياتي وانتصار الاشتراكية في روسيا هما الحدث الرئيسي في القرن العشرين ، في اسيا وفي العالم بأسره . ولقد تحررنا من الاستعمار . وهل هناك اعظم من هذا الحدث ؟ ان الادب السوفياتي يمارس تأثيرا خيرا على ادبنا . وتجربة الاداب السوفياتية مدرسة لكل شعوب البلدان المتعددة اللغات . ان المتطرفين ، اليمينيين منهم واليساريين ، يسعون لاقامة العراقيل في طريقنا ، ولا يروق لهم ان الديموقراطية تزداد تعززا في بلد من اكبر بلدان اسيا ، لكن واجبنا هو ان نجابه بتجربتنا الجماعية جميع المتطرفين .

عايدة ادريس (لبنان)

ان ناشري المجلات يلجأون الى كل ما يمكن ان يتصوره المرء، لكي تروج مجلاتهم . وفي مثل هذه الحالات ، لا تعود المسالة مسالة محتوى . ان الفن للفن ، ذلك الشيء المناسب للغرب ، يملأ ايضا صفحات المجلات اللبنانية . وهذه المجلات تفسد الشبيبة . مؤكدا ان في بلدنا ايضا مجلات مستقلة ، ومجلات حزبية ، لكنها ، والحق يقال ، تجد صعوبة كبيرة للعيش . فبيعها في الخارج يصطدم بالعديد من القيود والتضييقات . لكن مجلاتنا الحرة تناضل في سبيل الحرية والاستقلال ، بما في ذلك حرية الكتاب . ونحن نخوض معركة طويلة النفس ، ضد الهجمة الامبريالية التي يشنها اعداء العالم العربي . وخلال ذلك ، يسعى هؤلاء الاعداء لشراء بعض مجلاتنا. ونظرا لان اصدار مجلة يتطلب دائما نفقات كبيرة ، فان مجلاتنا لا تصمد دائما للمنافسة . ولمكافحة هذه الظواهر ، اقترح انشاء مجلس دائم لمديري المجلات ومحرريها .

★★★

... تلك افكار وجيزة لبعض المشتركين في ندوة بيروت ، اوردها بتلخيص سريع ، ولكن امين . الا انها تتيح فهم اتساع نطاق وجهات النظر المختلفة والمقدرة التي عرضها محررو المجلات الافرو اسيوية . اما اتفاق المشاعر واجماع الرأي ، فيمكن الحكم عليها لدى الاطلاع على البيان الذي اقره ، بلا تحفظ ، المشتركون في الندوة . وقد جاء في هذا البيان ، على وجه التخصيص :

« .. لقد توصل المشتركون في هذه الندوة الى الاستنتاج بان باستطاعة المجلات الادبية والاجتماعية والسياسية ان تكون سلاحا ثمينا وفعالا في النضال ضد طغيان الامبريالية ، والاستعمار ، اللذين يتشبثان بآخر قواعدهما ، وضد الاستعمار الجديد الذي افلس في سعيه للتغلغل داخل ادبنا وثقافتنا ، وفي النضال ضد التمييز العنصري ، والنفوذ الصهيوني ، وضد الاستثمار والحاق الضرر بالقيم المادية والروحية .

« لقد اكد المشتركون تصميمهم الصلب على مواصلة النضال النبيل بواسطة الاعمال والمجلات الادبية ، والاجتماعية والسياسية.

« واكد المشتركون على ان المجلات الادبية ،والاجتماعية ، والسياسية ، هيانجاز ثوري اجتماعي ومنبر رفيع المستوى ،ينبغي استخدامه في خدمة البشر ، وفي سبيل تعبئة مواردهم الخلاقة ، ولتلبية حاجاتهم الثقافية والروحية .

« .. وعلى اساس ذلك ، وانطلاقا مما عرض اعلاه ، يؤكد المشتركون في الندوة تصميمهم على ان يفصحوا بواسطة المجلات والاعمال الادبية ، الثقافة الامبريالية السطحية ومكافحتها بلا كلل ، وضرب نزعاتها الساعية لنشر الانعزالية والانشقاق والتشاؤم، والعدمية . وقد صمم المشتركون في الندوة على بذل كل جهودهم كخلافيين ومجددين ، وكل تفاؤلهم ، ومشاركة الشعب، صعوباته وآماله ، والدفاع عنه ، وتوحيد الجهود في النضال من اجل التقدم الاجتماعي ، ولتعزيز الايمان بطاقة الانسان الروحيةالخلاقة، وقدرته على ان يكون مصدرا لا ينضب معينه للقوى في النضال من اجل مستقبل قائم على اسس العدالة والحرية والكرامة ، والسلم » .

زيارة لميخائيل نعيمه

في ١٧ تشرين الاول من العام الماضي ، بلغ الكاتب اللبناني ميخائيل نعيمة الخامسة والثمانين عاما من العمر . وفي عام ١٩٧٣ منح نعيمة جائزة « اللوتس » .

وفي فترة استراحة بين اعمال الندوة ، ذهبنا الى منزله لتسليمه الجائزة .

كان ميخائيل نعيمة ينتظرنا في ردهة كبيرة . والناظر الى نعيمة لا يستطيع التصديق بانه في الخامسة والثمانين من عمره . وكانامامنا رجل ذو عينين متوهجتين فتوة ، ومفعمتين حياة .

وقدم الينا عدة انواع من السجائر : تفضلوا واختاروا . وسألنا : واعمال الندوة ، كيف تسير ؟

اجاب يوسف السباعي : افضل مما كنا نتوقع .

ـ ما الجديد في الادب المصري ؟

ـ الكثير من النزعات المختلفة . وتنوع كبير في الاساليب .

ـ شيء جيد .

واكد السباعي : شيء جيد حقا . انه صراع الاجيال .

وساله نعيمة بابتسامة ماكرة :

ـ وكيف تحسمون هذا الصراع ؟

ـ اننا نسعى للتقريب بين الاجيال

ـ وهل تنجحون في ذلك ؟

وتدخل سهيل ادريس في الحديث قائلا :

ـ ان الكتاب الشيوخ لا يعترفون دائما بالكتاب الشبان . ويحس المرء بالفرق بين الشعر التقليدي والشعر الحديث . ذلك شيء استطيع ان اؤكده بصفتي مدير مجلة .

واعترض السباعي قائلا : الامر لا يتعلق فقط بالطابعالتقليدي. فالبعض يسعون للتعبير عن المعاصرة بالاسلوب التقليدي .

ولاحظ نعيمه : اعتقد ان الامر يكون جيدا حين يفسح المجال للنقاش في الادب .

قال السباعي : هذا صحيح ، لكننا ، نحن الجيل الاكبر ،نحس باننا مسؤولون عن الشبيبة . ولسوء الحظ ، فان بعض الادباء الشبان ، بعد ان تلقوا تعليمهم ، لم يطلعوا على الحياة ، ولا اكتسبوا الحس بالكلمة . اما انا ، فاريد الاحتفاظ بشبابي ،وان تكون لي حكمة طه حسين .

وهز ميخائيل نعيمة رأسه وقال بأناة :

ـ الحياة ، ويالاسف ، لا تكوندائما مطابقة لرغباتنا . ولذلك يجب قبولها كما هي ، وفي خاتمة المطاف ، فان الشيء الضعيف ، غير القادر على الحياة ، يختفي ، ويزول . هنالكشخص يفضل نوعا من المآكل ، والاخر لا يحبه ويقول : « لن اذوقه » . لا تريد هذا النوع ، حسنا لا تاكل منه . في هذه الايام يصعب على المرء ان يميز بين الشبانوالفتيات، وهم جميعا يلبسون البنطلونات ، ويرخون شعورهم الطويلة .. اما البدوي فلا يبالي اي مبالاة برايك فيه حين يستحم بالرمل في الصحراء . فاذا كنت مؤمنا بالحياة، وثيق الايمان بها ، واثقا كذلك بعملك ، وان كنت تحس ان الارض صلبة وطيدة تحت قدميك ، لا تخشى شيئا ، بل تابع عملك .

ـ نود ان نتلاقى سقوط ضحايا دون فائدة .

ـ الكاتب لديه قلمه . وباستطاعته ان يجعل منه صاروخا . والشيء الاساسي ، بالنسبة لكاتب ، هو ان يخلق الخير . والان ، ما هي الاشياء المهمة ايضا في الاتحاد ؟

ـ لقد تحققت اشياء كثيرة خلال الاعوام الستة عشر الماضية. والترجمات تشغل حيزا كبيرا . وهناك لقاءان قريبان بانتظارنا : مؤتمر في الفيليبين ، وندوة حول الفن المسرحي في دمشق .

وقال ميخائيل نعيمه مبتسما : ـ واثر ذلك ؟

ـ اثر ذلك ، المؤتمر السادس ،في كينيا .

ـ وانا سأذكر هذه الندوة لان يوسف السباعي وسهيل ادريس قاما بزيارتي .. وكذلك سوفرونوف الذي ارجو ان يحمل تحية ارسلها من صميم قلبي الى صديقي القديم نيقولاي تيخونوف .

ووقف يوسف السباعي :

ـ صديقنا العزيز ، واديبنا الكبير ، اسمح لنا بأن نسلمك جائزة « اللوتس » .

وقال ميخائيل نعيمه وقد الم به الانفعال هذه المرة : شكرا . « اللوتس » ... ما أجمل هذا الاسم لجائزة تمنح لكاتب .

صدر حديثا عن دار الطليعة :

من الارشيف السري للثقافة المصرية

غالي شكري

صورة غنية بالخطوط والالوان لعديد من زوايا التاريخ الثقافي لمصر في ظل المرحلة الناصرية وما بعدها، وهي المرحلة المليئة بالتناقضات والمشحونة بالاسرار المثيرة للتأمل واعادة التقييم لكثير من جوانب الحياة الثقافية في مصر المعاصرة .

يفتتح غالي شكري في هذا الكتاب الستار ، لا عن خشبة المسرح ، وانما عن بعض ما دار خلف الكواليس .